

الإعلام والتنشئة الاجتماعية

د/مالك شليخ توفيق

جامعة وهران 2 محمد بن احمد

تمهيد:

تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل، فالإنسان لا يولد شخصا ولكنه يولد فردا عاجزا على توجيه سلوكه، ثم يبدأ في اكتساب شخصيته تدريجيا في الوسط الاجتماعي الذي يولد فيه. والأسرة هي أولى حلقات هذا الوسط التي تمثل الحصن الاجتماعي الذي يعمل على توجيهه وتثبيت نموه الجسدي والمعرفي ونضجه النفسي والعقلي والاجتماعي. وبالوجود الاجتماعي للطفل تعمل الأسرة جاهدة على إشباع ورعاية شؤونته وتؤكد ضرورة توفير الإمكانيات كافة التي تفجر قدرات الأطفال وطاقاتهم وتنمي استعداداتهم وتؤهلهم لاكتساب ما تتضمنه من لغة وقيم ومعايير سلوكية وعلاقات اجتماعية. رغم انضمام الطفل إلى مؤسسات أخرى تمكنه من اكتساب أفكار وتصورات وسلوك غير الذي اكتسبه داخل أسرته، إلا أن المسؤولية الكبيرة تقع على عاتق الأسرة لما لها من دور مهم في تشكيل السلوك السوي وغير السوي من خلال الأسس والأساليب التي تنتهجها في التربية.

المدرسة مؤسسة اجتماعية ذات مهمة نبيلة وهي أساس بناء الفرد والمجتمع وتكوين شخصيته وتزويده بالقيم الإسلامية والمثل العليا واكتسابه المعارف والمهارات التي تساعد على الإسهام في بناء مجتمعه وتنميته وتطويره علميا وثقافيا واقتصاديا وحضاريا وسلوكيا، إلا أن المدرسة الجزائرية اليوم تواجه أهم المشكلات وهي ظاهرة العنف المدرسي، لأنها تهدد صحة الأطفال والشباب، وتأثر على مؤسسات التعليم التي تقوم بعبء النهوض بالمجتمع. ويظهر العنف المدرسي من خلال الأنماط السلوكية المختلفة سواء مع الأقران أو مع المدرسين أو التعدي على ممتلكات المدرسة، مما يترتب عنه الكثير من الأضرار والآثار السيئة في المدارس. فالهدف من دراستنا لا يقتصر على معرفة الآثار التي تنجم عنه من الضرر الجسدي والنفسي للتلاميذ والذي يقف عثرة أمام جهود المعلمين في تحقيق أهداف المؤسسة، وإنما التعرف على الأسباب التي تقف وراء السلوكات العنيفة للتلميذ بالوسط المدرسي في الجزائر.

تعريف التنشئة الاجتماعية:

يمكن القول أن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، أو تهدف إلى اكتساب الفرد في كافة مراحل حياته سلوك ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مساهمة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

وتعرف التنشئة بأنها "مجموعة من العمليات التي تساعد على تنمية الشخصية الإنسانية للفرد، حيث يتعلم كيف يؤدي الأدوار الاجتماعية (1)".

وهناك تعريف آخر يرى "بأنها تلك العملية التي يتحول الفرد خلالها من طفل يعتمد على غيره، غير متمركز حول ذاته لا يهدف في حياته إلا لإشباع حاجاته الفسيولوجية إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية وكيف يتحملها".

وتعرف كذلك بـ "أنها من أخطر العمليات شأنا في حياة الفرد، لأنها تلعب دورا أساسيا في تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد، وهي في معناها العام العمليات التي يصبح فيها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الاجتماعية بكل ما تشتمل عليه من ضغوط وما تفرضه عليه من واجبات من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية" (1).

أما تعريف معجم العلوم الاجتماعية الذي يقول: "التنشئة الاجتماعية هي إعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون كائنا اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين." (2)

من كل هذه التعريفات يمكن أن نقول إن التنشئة الاجتماعية تشمل كافة الأساليب التي يتلقاها الفرد من الأسرة خاصة الوالدين والمحيطين به من أجل بناء شخصية نامية متوافقة جسمى ونفسيا واجتماعيا.

أهمية التنشئة الاجتماعية بالنسبة للفرد:

إن الإنسان منذ ولادته ولفترة طويلة نسبيا عبارة عن كيان حيوي له استعدادات فطرية وحاجات مميزة، إلا أنه لا يمكن الحفاظ على وجوده والنمو بطريقة سليمة، إلا إذا توفر له الوسط الاجتماعي المناسب الذي يساعده على ذلك (3).

والإنسان كمخلوق متميز بركائز فطرية واستعدادات وحاجات فطرية كذلك لا يستطيع الحياة منعزلاً منفرداً، إلا أنه يشعر دائماً بالحاجات التي تفيد المجتمع، بل قد يعمل ضدها، ولما المجتمع يريد أن يكون سلوك الإنسان ونشاطه كله منسجماً مع مصالحه الجماعية، فقد كان لزاماً عليه أن يمارس على الأفراد عملاً يؤثر على استعداداتهم وينمي قدراتهم ومواهبهم، بحيث يصبحوا عناصر صالحة فيه.

أهمية التنشئة الاجتماعية بالنسبة للمجتمع:

إن بقاء المجتمع واستمراره يتم في جانب من الجوانب ببقاء ثقافته واستمرارها فالعقائد والقيم والتقاليد، وكل ما يميز المجتمع عن آخر لا يمكن الحفاظ عليه إلا إذا تم توارثه جيلاً عن جيل، وتعتبر التنشئة الاجتماعية العملية التي يقوم المجتمع بواسطتها غرس هذا الموروث الثقافي للجيل الجديد.

كما أن التغير الاجتماعي لا يمكن أن يتم إلا من خلال التنشئة الاجتماعية فالتغير الاجتماعي إنما يبدأ بالتغير في المفاهيم والقيم، والمعتقدات ثم السلوك وهي أمور لا تتم إلا من خلال عملية التنشئة الاجتماعية كعملية تفاعل اجتماعي يكتسب فيه الفرد شخصية وثقافة مجتمعه.

أهداف التنشئة الاجتماعية:

تسعى التنشئة الاجتماعية إلى بناء شخصية الفرد وإكسابه ثقافة مجتمعه وتحقيق الأهداف التالية:

- اكتساب القيم والمعايير السائدة في المجتمع والتي توجه السلوك وتتحكم فيه.
- اكتساب اللغة من الأسرة والعادات والتقاليد، ضبط السلوك وإشباع الحاجات الفطرية والنفسية للطفل.
- تعليم الفرد الأدوار الاجتماعية المتوقعة منه وفقاً لجنسه ومركزه الاجتماعي وطبقته الاجتماعية.
- اكتساب أساليب التعامل الخاصة بجماعة معينة هي الجماعة التي يعيش فيها الإنسان.
- تحويل الطفل من فرد يعتمد على غيره إلى طفل ناضج يتحمل المسؤولية ويعتمد على نفسه أي من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.
- اكتساب الفرد عناصر الجماعة الثقافية بحيث تصبح جزءاً من شخصيته وتكوينه الاجتماعي، تكوين القيم الوجدانية والروحية (4).

خصائص التنشئة الاجتماعية:

- ✓ إنها عملية التعمق يتحول بها من التمرکز حول ذاته إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية ومن خلال تصوراتهِ وتفاعله مع الآخر (5).
- ✓ أنها عملية تعلم اجتماعي وتعلم الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي المعايير والأدوار والجهات.
- ✓ إنها عملية مستمرة ذات مراحل متسلسلة من الطفولة إلى المراهقة فالرشد ثم الهرم والشيخوخة، ولكل مرحلة خصائصها واحتياجاتها.
- ✓ إنها عملية ديناميكية، فعن طريق التفاعل والتغير ترسخ عمليات الأخذ والعطاء التي تكون الشخصية الناضجة.
- ✓ أنها عملية معقدة متشابكة، متعددة المهام والأساليب لتحقيق الأهداف المرجوة.
- وسائل الإعلام والأساليب التي تستعملها في عملية التنشئة الاجتماعية:

مما لا شك فيه أن لوسائل الإعلام أثراً مهماً في عملية التنشئة الاجتماعية من خلال إشباع الحاجات النفسية للأفراد، مثل الحاجة إلى المعارف والمعلومات الثقافية والتوافق مع المواقف الجديدة لما يستخدم المجتمع نظامه الإعلامي لنقل التراث الاجتماعي من جيل إلى آخر. وتعمل وسائل الإعلام على مساندة المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمدرسة والأسرة للقيام بعملية التنشئة الاجتماعية، مما يزيد فعالية وسائل الإعلام لتحقيق هذا الغرض زيادة الوقت الذي يكرسه الفرد لها، ومن بين الأساليب التي تنتهجها وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية ما يلي:

* أساليب موجّهة وسائل الإعلام للطفل :

وذلك لإحداث تغيير معين، أو تحقيق أهداف وأغراض معينة :

- التكرار: بحيث يعتمد الموجهون إلى إحداث تأثيرات معينة عن طريق تكرار أنواع معينة من العلاقات والشخصيات والأفكار والصور في شتى المجالات وسائل الإعلام، حيث يتعرف الطفل على أشياء كثيرة عن الحياة وعن مجتمعه.
- الجاذبية : مع تقدم التقنية الحديثة وانتشار وسائل الإعلام وأجهزة الإعلام المتقدمة تنوعت الأساليب لجذب الانتباه الأطفال إلى وسائل الإعلام المختلفة، ولهذا يتضاعف أثر التكرار الذي أشير إليه سابقا.
- الدعوة إلى المشاركة: حيث تلجأ بعض وسائل الإعلام للطلب من الأطفال المشاركة في برامجها عن طريق كتابتهم فيها أو رسوماتهم أو آرائهم، ويزداد تأثيرها في حالة دعمها لمشاركتها كأن تمنحه جائزة.
- عرض النماذج: سواء أكانت شخصيات حية أو خرافية، آدمية أو حيوانية، المهم إن موجة الوسيلة الإعلامية يقصد من خلالها غرس قيم معينة أو عرض مواقف إيجابية أو سلبية يتضمن عرضها دعوة صريحة بنقلها وعدم تقليدها.
- * أساليب استقبال الأطفال للمعروض من وسائل الإعلام :
- الاستيعاب: يعني امتصاص الطفل لما يعرض له من مدركات ومفاهيم، وإن أهم عنصر للاستيعاب هو التكرار والإعادة.
- التقليد : يميل الأطفال إلى تقليد ما يعرض عليهم من نماذج سيئة كانت أم حسنة ويتوقف التقليد على :
 - ✓ الوسط الاجتماعي الثقافي للطفل (6).
 - ✓ ردود فعل الآخرين الواقعية أو المتوقعة عندما يقوم الطفل بالتقليد.
- التقمص : وفيه يتوحد الطفل مع شخصيته من الشخصيات التي يتعرض لها إما : توحدًا موجبًا: بحيث يود أن يسلك ويشعر مثلها أو توحدًا سالبًا: بحيث يرغب في السلوك بطريقة مخالفة لها، ويتوقف التقمص على عدة مراحل منها:
 - ✓ حاجات الطفل نفسه.
 - ✓ العوامل الاجتماعية المحيطة به.
 - ✓ ردود فعل الآخرين وأحكامهم ومشاعرهم.
- وهكذا نجد أن لوسائل الإعلام المختلفة المسموعة كالإذاعة والمرئية كالتلفاز والسينما والمقروءة كالكتب والمجلات، دور هام في عملية التنشئة الاجتماعية.

خلاصة:

الأسرة هي أول صورة للحياة واللينة الأولى في البناء الاجتماعي، وبما أن الأسرة هي وحدة بناء في المجتمع، فهي تؤثر فيه وتتأثر به، كما أن الأسرة من أهم المؤسسات التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية وأهم وسيط من وسائطها التي تسهم في تشكيل سلوك الأبناء ففيها يعيش الطفل ومن خلالها يشعر بالأمن والتقبل والانتماء، إذ يتلقون عنها مختلف المهارات والمعارف لتصبح بذلك الوعاء التربوي الذي تتشكل داخله شخصية الطفل والمراهق تشكيلا فرديا واجتماعيا.

لكننا نجد أن معظم المشكلات الاجتماعية تعود أساسا إلى خلل التنشئة الاجتماعية التي تبدأ من الأسرة، لذلك فالتنشئة الأسرية للطفل من أساليب ومعاملة الوالدين واتجاهاتهم تعد مسئولية ليست هينة خلال المراحل الأولى حتى سن المراهقة، حيث تتداخل أكثر من بيئة تحيط بالطفل منذ نشأته ومنهم من لها آثاره السلبية والإيجابية في تنشئة وتكوين السلوكات السوية والغير سوية للطفل.

الهوامش

1. Andrée Michel, Sociologie de la famille et du mariage. Paris PUF, 1972, P 86.
2. جماعة من المؤلفين، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1، (د.ت)، ص 184.
3. مراد زعبي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ط 1، (د.ت)، ص 12.
4. إبراهيم ياسين الخطيب، التنشئة الاجتماعية للطفل، دار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر، عمان، ط 1، 2003، ص 11.
5. Mayer Philipe, Socialization- the approach from social anthropology, London ; New York : Tavistock, 1970. P98.
6. عبد الله زاهي الرشدان، التربية والتنشئة الاجتماعية، دار اليازوري العلمية، 2006، ص 337.